الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة

للشيخ/ عمر محمود (أبو قتادة)





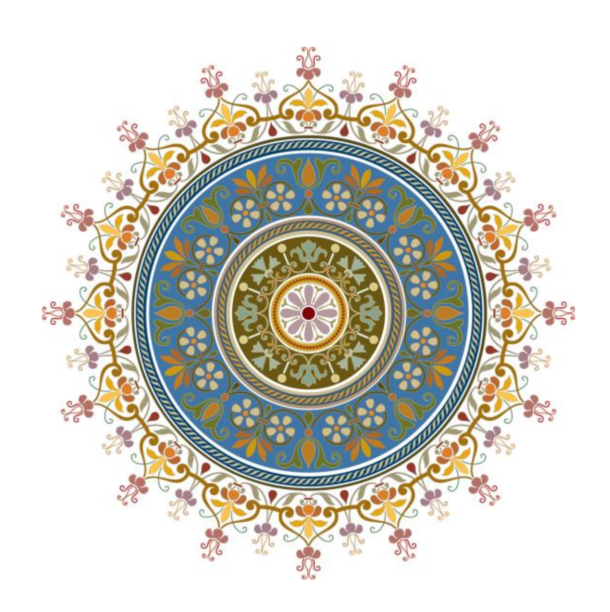
1442 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

الأسرة وبناء التوازن
في الشخصية المسلمة

للشيخ/ عمر محمود - أبو قتادة - (حفظه الله)



بيت المقدس

الفهرس

مقدمة الناشر

يجمع هذا الكتاب سلسلة تربوية كتبها الشيخ أبو قتادة الفلسطيني (حفظه الله) ونشرها على شكل حلقات بعنوان "الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة"، ونظرًا لأهمية الطرح، وضرورة تقييد فوائده، بادرنا في بيت المقدس لجمع الحلقات في كتاب واحد، سائلين الله عز وجل أن ينفع بها ويصلح حال الأسر المسلمة، كما نشكر الشيخ الفاضل على اهتمامه بالأطروحات التربوية من هذا القبيل في وقت أضحت فيه منظومة الأسرة المسلمة في خطر، بصفتها لبنة أساسية في المجتمع الإسلامي الذي يقع اليوم تحت نيران الحرب على الإسلام.

هذا وصلّ اللهم على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

بيت المقدس

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (1)

أغلب أمراض الشباب والناس تنتج مع الخطوات الأولى داخل الأسرة، وتتشكل الشخصية المريضة والفاسدة من الأب والأم ومن معهما من الأخوة والأخوات الكبار، وتستطيع الجزم أن سوء الخلق، وفساد السلوك، واضطراب الشخصية منتج من سلوك أسري فاسد (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ومع الخطوات السلوكية الأولى تتشكل عمد الشخصية، ولو أرادت التغيير بعد ذلك شقّ عليها واحتاجت لعلم خاص ومجاهدة عالية.

العلاقة بين الأبوين وخصال كل واحد منهما تجاه الآخر، وتجاه الأطفال هي من يشكل أخلاق الإنسان في حياته كلها إلا أن تطرأ عليه طروء تغير له هذا المسلك.

ما نحتاجه هو تقويم سلوك الأبوين، وإنشاء علاقة متوازنة تقوم على المودة والسكينة والاحترام، ومراقبة حركة النفس وكلامها ومواقفها، لأن هذا هو البيئة التي تصنع الطفل وحياته كلها بعد ذلك.

من هنا تكمن أهمية أخلاق الأبوين، وسلوكهما تجاه بعضهما البعض في حياة الإنسان والمجتمع، وأي خطأ منهما سينعكس أثراً حقيقياً على فهم الإنسان ومواقفه في حياته كلها.

كل هذا الكلام نفهمه نظرياً، ولكن غمرات الحياة تنسينا أنفسنا حتى تنهار قيمنا وأخلاقنا في داخل بيوتنا وبين الأسرة الواحدة، ثم نستمريء هذه الأخلاق السيئة، وبالتالي لا نشعر بأنفسنا كالمخبول الذي لا يدرك جنونه واضطرابه.

من هنا تأتي أهمية رفع المرايا، وتوالي التذكير ليحس المرء بمقدار انحرافه عن الجادة.

مع الطفل إذا استقام العود استقام الظل، وإذا اعوج العود اعوج الظل، والطفل هو ظل أخلاق الوالدين، وما لا تستشعره من نفسك يستشعره الطفل والصغير، ويدركه بوعي مرتفع عن وعيك، فيبدأ التمثل واعياً أنه يسير أمام مثاله الذي يقلده ويراه.

مع الغفلة يمكن للكبير أن يقع في عطائم الشرور دون إحساس بقذارتها وقبحها، لأن صورة النفس مشوهة ومغيبة، ولكن الطفل لسلامة آلته يتحرك مقلداً على وعي لحركتك وسلوكك، ولذلك هو أعقل منك في فهمه لحركات أخلاقه.

تتغير هذه الصورة الواعية عند الطفل عندما يرى النفاق فيمن حوله، فهم يدعون ويتكلمون عن شيء ويمارسون ضده، فيبدأ الاضطراب في نفس الطفل، وبهذا يتكون الشذوذ والفساد.

عمدة استقرار البيت: رجل كامل الرجولة، يجمع الشجاعة والكرم والحياء والصدق والأمانة، وامرأة وفية صادقة عاقلة مفعمة بالأنوثة والحكمة، وأي اختلال في هذه القسمة من سقوط صفات الرجولة لتنتقل إلى الجانب الآخر يعني اختلال في بنية البيت الصحيح.

وتنشأ على ضفاف هذا الكمال في القسمة نماذج شاذة أبرزها صورة مطلب رجل، يريد احترام الآخرين له كرجل وهو ناقص القيم الرئيسية من الشجاعة والكرم والحياء، وهذا أبرز معالم الشذوذ في مجتمعنا، يقابله سفاهة امرأة، تريد تمثيل دور الرجل مع نقص أنوثتها، وبهذا يفسد البيت.

وللحديث بقية.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (2)

لا يستقيم البيت إلا بصلاح أهله، وقيام الوالدين على العبادة والذكر والدعاء، فسمات الصلاح سمات يحبها الخلق جميعاً، ولقد رأيت هذا حتى في الكفار، فإنهم يهابون المتدين والذاكر والمصلي والداعي، ويرونه يستحق الاحترام، ومن علم من زوجته محبة الصلاح وسعيها لتحقيقه أحبها واحترمها، وكذلك إذا رأت الزوجة في زوجها العبادة ومحبة الذكر، وقيامه على الفرائض بحرص، وكذا مواظبته على نوافل العبادات من صلاة الضحى وقيام الليل ودوام الذكر فإنها تعظمه في نفسها وتحترمه أشد الاحترام.

فهذه قاعدة مضطردة فإن وجد خرم لها في آحاد من الناس لم تبطل، لكن الناس يرونها سنة جارية في حياتهم.

وكذا الأولاد، فيجب على المرء أن يراعي حاله معهم أشد من مراعاته الغريب والأجنبي، فبعض الجهلة يتزيا بكل زي جميل مع الناس خارج بيته، ويحسن خلقه معهم حتى إذا دخل بيته أساء وأظهر غير ذلك، فهذا من أجهل الخلق، وأفسد أعظم ما عنده من أهل وولد، إذ يجب أن يحسن إحساناً مضاعفاً في بيته ومع أهله، ويجب عليه التخلق بأحسن الصفات معهم.

الأولاد لهم مجسات عظيمة وكذا الزوجة والزوج، يراقبون كل حركة، ويعلمون من والدهم ووالدتهم، كما تعلم الزوجة من الزوج والزوج من الزوجة خباياهم في السر، ومن هنا تأتي قيمة عبادة السر في صلاح الأولاد.

كرمك يراقبونه ويرونه عند كل منعطف وسؤال، وكذا شجاعتك، وكذا حسن لفظك، فهم أدرى الناس به، ويضعونك تحت المجهر في هذا، وتكون أنت كنافخ الكير أو حامل المسك.

يتحدث لي بعضهم أن زوجته تسيء له في ظنها، وربما مرت امرأة من أمامهم فاتهمته زوجته بالنظر إليها، وهو يتهم غيرتها الشديدة في ذلك، وحينها يبدأ الخصومة أمام الأولاد، وتسيل الأخلاق السيئة من ألفاظ ومواقف، وأنا أقول: لن يحصل هذا لو علمت المرأة من زوجها دينا عظيما في غض البصر ومداومة الذكر.

وأنا أرى البيت كله ظلاً للرجل: الزوجة والأولاد، حتى نساء الأولاد إن سكنوا قريباً من الوالدين، فالمسؤولية الأعظم في خصال البيت وأخلاق أهله ومزاجهم هي ظل خلق الأب والرجل، إن كان رجلاً قبل كل شيء، ثم صالحاً وعابداً صادقاً كان البيت ظلاً له في سمته وحياته.

وأنا هنا أتكلم عن سمت البيت في داخله، ومزاجه العام فيما هو عليه، وقد يخرج الابن إلى حياة خارج البيت فتأتيه خصال غير ما عليه البيت، فيفسد ويتغير، لكن يبقى هو في البيت على خصال سيده وهو الأب.

كل عمل تأتي به الزوجة صلاحاً أو فساداً يأتي على البيت، وكل عمل يأتي به الزوج صلاحاً أو فساداً يأتي على البيت.

سر البيت بصلاح الوالدين.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (3)

وإن من أعظم سبل استقرار البيت واستقامته الدعاء، وهو عمل يغفل عنه الكثيرون، ولو علم الناس قيمته لأكثروا منه كل يوم مرات ومرات، وبعض المسلمين يظن أن الدعاء لتحصيل أمر يكون مرة واحدة، فيستحاب له فيه، فهو تارك له على الدوام إلا مرة أو مرتين، وهذا خطأ كبير جداً، فالدعاء كالطاعم (ولا أقول كالدواء) يحتاجه المرء في كل يوم مرات، ومواظبة النبي ﷺ في كل يوم وفي كل حال يوافقه (الدعاء) يعني هذا المعنى.

كلما خرجت من بيتك تحتاجه، وكلما استيقظت من نومك تحتاجه، وكلما خفت وتعبت تحتاجه، وكلما احتجت أتيته، وهكذا هو في كل يوم، يدعى مرات ومرات، فمن غير هذا لا يحصل لك في يومك مطلبك، كدعاء السجود في قيام الليل (اللهم اجعل في قلبي نوراً...) الحديث.

ودعائك كثيراً (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ودعائك (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ودعاء (اللهم إني أسألك اليقين والعافية)، وهكذا، فالدعاء كالطعام، له مدته، تحتاجه كل يوم وفي كل يوم مرات حتى يتحقق لك مطلبك في كل يوم وفي كل لحظة، فانتبه لهذا.

وأهلك وبيتك وأبناؤك يحتاجون الدعاء منك كل يوم، فالله يقول عن عباده (وعباد الرحمن...)، فيصفهم بقوله ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا**

﴿**وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾[1]، وقوله تعالى ﴿**يَقُولُونَ ...**﴾ دال على التكرار والكثرة حتى وصفوا بهذا الفعل.

والمرء لا يطلب مطلق الولد، بل الصالحون يطلبون ولداً بصفة يحبونها، ويحبها الله تعالى، كما قال زكريا عليه السلام ﴿**قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً**﴾[2]، فهي مقيدة بهذا الوصف الجميل ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، فكان يحيى عليه السلام.

وهذا أبو الأنبياء عليه السلام يقول ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾[3]، فهو يدعو لذريته بإقامة الصلاة، وهذا سؤال لنا: كم مرة دعونا بهذا الدعاء؟، وتذكروا أن أبناءه كانوا يقيمون الصلاة، فهو دعاء للاستمرار والمواظبة، كما يدعو لنفسه بهذا المعنى.

لا يوجد باب أعظم من الدعاء لصلاح الأولاد والأهل، ومن ظن أن دعا عشرات المرات لهم كاف ليتحقق منه معنى الداعي لهم فهو مخطيء، بل هو كل ليلة، وهذا أقل القليل .

وندعو لهم بالمغفرة ليحصل لهم الصلاح ﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**﴾[4] كما يدعو الصالحون.

وإياك والدعاء عليه، حتى بإمرار الكلام على لسانك، واضبط نفسك عند الغضب عليه، واجعل تنفيس غضبك بالدعاء له لا عليه، ومن المشهور عن رجلٍ

([1]) الفرقان (74):

([2]) آل عمران (38).

([3]) إبراهيم (40).

([4]) الأحقاف (15).

شكى لابن المبارك عقوق ابنه، فسأله: أدعوت عليه؟، قال: نعم! قال ابن المبارك: أنت أفسدته.

والفضيل بن عياض اشتهر عنه دعاءه الكثير لابنه، ويقول فيه: اجتهدت في تربية ابني فلم أقدر، فربه أنت لي.

وأكثر من ذاك حتى أصابه خير الدعاء.

وفي الحديث: (لا تدعو على أبنائكم).

ودعاء الوالدين مستجاب فادع لهم بخير ورحمة.

والدعاء بالصلاح يعني حب الصلاح نفسه، والناس يدعون بالثراء والغنى وطول العمر، لأن هذا هو المقدم عندهم، ولو كانت الصلاة عظيمة في نفوسهم لدعوا الله أن يكونوا وأهلهم من أهلها.

اعلم أن أعظم سبل التربية هو الدعاء.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (4)

مراعاة ذكاء الطفل أصل في فهم بنائه الخلقي، وكل ظن ولو يسير أن الطفل غير ذكي في موضوع المراقبة والملاحظة والتمثل بما يراه ويسمعه جهل وغلط، بل يجب اعتبار ذكائه واهتمامه.

الطفل عنده والده وأمه أعظم الخلق، وهم أجدر بالتمثل والأسوة، ومن أمراض الآباء والأمهات تصرفهم كأحرار أو صغار، والمرء لا تهرم نفسه، بل تبقى تشتهي وتطلب وتتمنى، وهذه حالة صبيانية، فيجب ردعها وتقييدها، وعدم متابعتها، وهذا نوع مجاهدة في الله تعالى، والمرء لا يحس في نفسه وهو أب ووالد وكذا الأم كما كان يعرف من نفسه وهو ينظر لوالده وأمه، وأنهم كل الحياة، بل يظن أن ابنه يظنه صديقاً مقارباً له في النفس والسلوك، وهذا من الوهم الذي يجب الحذر منه.

الوالد كبير في نظر أبنائه، وكذا الأم، فيجب مراعاة سلوكه كأهم ما يكون، وكما تحذر الأم وهي ترضع طفلها من طعام يؤذيه يدخل إليه من خلال لبنها فكذلك يجب الحذر من أخلاق لا يحبونها من أنفسهم تسري إلى ابنهم وابنتهم.

الصراخ بين الزوجين مدمر لتوازن الطفل، والخصومات التي يدركها الابن حتى وهي صامتة كذلك هي مدمرة وساحقه لتوازنه وسلوكه، ولذلك يجب قطعها تماماً من البيت بين الزوجين.

كـل الخصـومات والتنـافر بـين الـزوجين هـي أمـراض مهلكـة للطفـل، وأعظـم مـا يصـنع توازن الطفل هو الاحترام المتبادل بين الزوجين.

إياك أن تحقـر زوجتـك أبـداً، لا أمـام الأولاد ولا خلفهـم، وللأسـف هـذا خلـق منتشـر بين الأزواج في بلاد المسلمين، وهو احتقار وتقليل الشأن من الزوج للزوجة.

والزوجـة لسـوئها تحقـر زوجهـا إن غـاب، وتـتكلم فيـه كـلام السـوء أمـام أولادهـا، وتصـفه بأقـذر الألقـاب والصـفات، وهـذا مـن الـزوجين مـدمر للإنسـان الـذي هـو ابنهم وابنتهم.

إنشـاء الطـرف والنكـات الـتي تسـخر مـن الزوجـة سـوء خلـق فاسـد، يجـب علـى الـزوج تركـه أبـداً، بـل يجـب احترامهـا كـأعظم إنسـان، فهـي مـن تخـدمك وتقـوم بطعامـك وشـرابك، وتـربي أولادك، وتحفـظ عرضـك، فالزوجـة قيمـة عظيمـة هـي مـن أهـم قـيم الحيـاة، وتحقيرهـا دمـار لهـا، وهـي ستبادلك هـذا الفعـل حـين تكثـر منـه، فـإن ذكـرت أمامهـا بعيـداً عنـك في غيبتـك قالـت فيـك الشـر ثم تقـوى فتبادلـك السـب بالسـب، والنتيجة ابن سيء الخلق، غير متوازن.

انتبـه لنفسـك: لا تـذم طعامـا لزوجتـك، فـإن أعجبـك فكـل وإلا اتركـه كمـا كـان يفعـل الحبيب ﷺ.

لا تـذم مـا هـو اختصـاص لهـا، فـإن قصـرت نبهـت بحـب واحـترام وتقـدير، فهنـاك قضـايا هـي لهـا كـداخل البيـت ونظافتـه والمطـبخ، فهـذه مملكتهـا، فـلا تـدمرها علـى رأسها، دون أن تحترم ضعفها وحاجتها لرعايتك وحبك وتقديرك ونصحك.

بعض الرجال يكتب عليهم الإثم وهم لا يشعرون، ومثاله:

ضرب الابن بلا سبب تربوي، بل هو تنفيس غضب، فهذا ضرب آثم لا يجوز، فلا يعني كونه ابنك أن لك الحق مطلقاًبضربه، وإغضابك في شهواتك ليس سبباً شرعيا لضربك له، بل لا بد من سبب شرعي مجيز للضرب الصحيح الملائم، وكذا سوء القول في الزوجة والولد، فسبه وسبها إثم، وتحقيرها كذلك، وإيذاؤها معصية، كما من المعاصي أن تؤذيك هي(لا تؤذوا المسلمين).

ومن الإيذاء تهديدها بالزواج، حتى كأن الزواج من الثانية عقاب لها لسوء خلقها، وليس لإباحة الشارع له، فالذين يتخذون التهديد بالزواج أو جعل الكلام فيه سبب إيذاء لها جريمة في الشرع، إذ فيه إيذاء على معنى نيته، وفيه كذلك تقبيح لما أحله الله في نفس الناس والزوجة، وكأنه عقوبة أو حد من حدود الله يعاقب به العاصي، وهو ليس كذلك.

حديث الرجل عن قبح زوجته، إما كذباً أو تعليقاً، فهذا إفساد للاحترام والمحبة، وسبب الخصومات التي تفسد النساء، فهذه الزوجة التي أنجبت لك الأولاد كيف لك أن تقارنها ببنت صغيرة قد بلغت لتوها، قد أثمت بالنظر إليها، وأثمت باشتهائها، وأثمت بوصفها لغيرك حتى زوجتك، أقول كيف تقارنها بمن عاشت معك وصبرت عليك وخدمتك وجاءت لك بالولد؟.

بعض الرجال كسفاهة الأطفال، لا يعرف قيمة ما في يده، ويشتهي كل شيء لا يملكه، حتى إذا ملكه ذهبت قيمته.

كيف لهذا السفيه أن يعير زوجته بمرضها إذا مرضت، أو بتعبها إذا تعبت، وبحالها العجيب وهي حامل أو فيها ما في النساء من طبائع؟.

(إنما هن عوان عندكم) يا الله، كم هي عظيمة هذه الكلمة النبوية، تثير في قلب الرجل العظيم الحب والرأفة والشفقة، فيحسن منه لها القول والفعل والمصاحبة.

وللحديث بقية.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (5)

بناء المسلم المقاوم

هـذا أمـر أكتبـه هنـا لتحـيري في معالجـة ظـاهرة مؤلمـة، وهـي ظـاهرة أبنـاء المتـدينين وانحرافهم عما ربوا عليه.

الآباء المتـدينون يعتنـون بأبنـائهم في الصـغر، فيحرصـون علـى حفظهـم لكتـاب الله، ويجنبـونهم المـدارس السـيئة، ويحـاولون تـربيتهم كأحسـن مـا يكـون، ثم بعـد اقـتراب البلـوغ يخرجـون لهـذه الحيـاة فيبـدأ انهيـارهم وتغـيرهم، وهـذا يحصـل مـع كثـيرين، حـتى اسـتحقت اسـم الظـاهرة، ممـا يـؤلم الآباء، ويكـون فجـور هـؤلاء في بعـض مظـاهره وصـوره وأحوالـه أكثـر مـن غـيرهم، وهـذا أمـر يسـتحق التفكـر والنظـر، وبحـث السـبل التي تمنعه.

ممـا لا شـك فيـه أن البيئـة سـيئة، والمجتمعـات فقـدت الـدين والخلـق في شـوارعها ومدارسـها وتجمعاتهـا، والمعاصـي مبذولـة ظـاهرة، والشـيطان في مجتمعاتنـا لـه الغلبـة فيمـا هـو ظـاهر، والشـاب فيـه غرائـز، وفيهـا قـوة، وهـو ضـعيف بسـبب قـوة الغرائـز أمـام هـذه الشـهوات، فيسـقط، ولـذلك جـاء في الحـديث مـع ضـعف فيـه: عجـب ربنـا لشـاب لـيس لـه صـبوة، وهـذا لأن الشـهوة غالبـة علـى امـريء قـوي الهـوى، ضـعيف التجربة، قليل الحكمة، فاقد للتجارب.

فهذا حال لا ينكر، ولكن لا يجوز لنا الاستسلام بتسويغ هذا السقوط والتغير.

يمكن أن نفسر بعض هذه الظاهرة بطرقنا غير الصحيحة في تربية الأولاد، فالمدارس الدينية تفقد جانب اللهو المباح، والسعة التي توجد في غيرها، فالحرمان التام يصنع الجوع الشديد، ثم في أول الطريق يتم الإنفلات والهروب وهو السقوط، ولذلك نجد الشباب الذي ينشؤون في مدارس فيها سعة من اللهو والفرح والمتعة التي يحتاجها الطفل يقل خروجهم عن جادة الدين بعد ذلك.

وهذا المعنى الذي نقوله عن المدارس والمؤسسات الدينية نقوله في بيوت المتدينين، فبعض البيوت يقوم أصحابها عليها بالمنع المطلق والحرمان التام لكل سعة من مباحات، وهي في قلبها تؤدي إلى كرهها ومحاولة الخروج منها، حتى إذا جاءت الفرصة حصل ما نكره.

وهذا يدل على جهل هؤلاء، وعدم مراعاتهم البيئة وما فيها من صور مغرية.

وبعضهم يحتج بقلة ذات اليد، والصحيح هو قلة العقل، وسوء التصرف، وإلا فتحقيق بعض السعة المباحة مقدور عليه بأقل القليل.

ويمكن تفسير هذه الظاهرة بسوء خلق المتدينين من آباء ومدرسين، وهذا نراه حتى في مساجدنا من غلظة وسوء خلق في التعامل مع الأطفال، والحياة مليئة بالمغريات، فهو عرض لصورتين، إحداهما دين مع عصا وعقوبات وصراخ وألم وتهديد وعبوس وجه، والثانية بسمات ومرح وفرح وشهوات تختلط مع المعاصي والتفلت من الطاعة، والبون شاسع بينهما، والمعركة تدور حول شاب مسكين، شهواته أقوى من عقله.

كل هذا موجود، لكن هناك قضية أراها مهمة، وهي ضرورية حتى لو وجد حسن تربية من المؤسسة والمدرسة والبيت من جهتين: البيئة والقائمين عليها، وهي تتعلق بطريقة تربية الأبناء، وما هي الصيغة التي نتعامل معهم فيها، وما هو مطلبنا منهم، وهذا المطلب يحدد طريقة صياغتنا لمعلوماتنا ونحن نلقيها عليهم، وأعتقد أن ما ينبغي علينا بناءه فيهم هو المسلم المقاوم.

نحن لا نعيش بيئة مسالمة، وهي صفة تدل على الخير الكثير، والشر كامن مخفي مستتر، لا يصل الناس إليه إلا ببحث وتنقيب، وهي بيئة يصلح معها ما سماه علماؤنا بالعزلة، إذ يمكن للمرء فيها أن يحصل عزلة جزئية تقوي عنده الطاعات الخاصة، والدين المميز والعلم الكثير.

والكثير منا يبني طفله من خلال هذه الرؤية، فهو يعيش حالة عزلة عن المجتمع، لعقله وتدينه، ويريد لطفله أن يعيشها كذلك.

وهذا يمكن إذا كان الشر مستتراً، مخفياً، لا يصل إليه أحد إلا بطلبه، لكنك اليوم تعيش جاهلية مهاجمة، حاضرة، داعية، مبذولة، ولها سلطان وجنود ودعاة، فكيف تحصل هذه العزلة الجزئية في الطفل المسكين؟.

فما الحل إذاً؟

في ظني أننا بحاجة لصناعة الطفل المهاجم والمقاوم لهذه البيئة حتى نحصل شابا مهدياً.

هذا ما سأحاول شرحه إن شاء الله تعالى.

تـذكر دائمـا أن أعظـم التربيـة الـتي تحصـلها لطفلـك تكـون بالـدعاء، فـإن لم يهـد الله ابنـك فلـن تهديـه بكـل الطـرق الـتي تتقفرهـا سـعيا منـك، فـاحرص علـى الـدعاء في كـل يوم، ومرات كثيرة في اليوم الواحد ما قدرت.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (6)

بناء المسلم المقاوم

أغلبنا يعيش مع أبنائه من خلال موقف الحذر، وتجنيبه فساد المجتمع ومشكلات الأفكار الجاهلية، فسلوكنا محكوم بهذه النظرة مع أبنائنا، وهذا ما أظن أنه يحتاج لتقويم وتغيير.

مما لا شك فيه أن مرحلة التكوين تحتاج لبناء الحق في نفس الطفل، لتصلح سداً أمام الفساد، والحديث يدور حول كيفية الحق هذا، وأنا أتكلم عن مرحلة الطفل المميز، حين تبدأ أفكاره وعقليته بالتشكل، وما نحتاجه أن نعلمه الباطل كما نعلمه الحق.

مما ينبغي أن نوجده في نفس الفتى في هذه الفترة أن يعرف الباطل، ويعرض عليه، ويتكلم عنه بصراحة، وذلك من خلال عرضه أمامه كعدو حقيقي يجب مقاتلته ومواجهته، وذلك من خلال طريقة القرآن في عرض الباطل والرد عليه وتحقيره، فهو موجود قدري لا انفكاك لنا منه، والهروب ليس حلاً، والاكتفاء بتعليم الحق دون تعرية الجاهلية من جهتيها الشهوات والشبهات.

ما نمارسه هو أننا نعلمه القرآن والحديث مع حذر من سماع الباطل، وهو معروض بشدة خارج قاعة الدرس، ورغم أنوفنا يصل إليه بعض ريحه، وبعض أثره، ونفس الطفل تواقة، تحب اللعب واللهو، والتكاليف عليه شاقة شديدة، لم يتدرب على

تنمية إرادته، وهذا حله بفتح باب اللعب المباح، واللهو الذي لا يخالف الشرع، ولكن ما تعلق بالمعاصي الفكرية والسلوكية يجب عرضها من خلال الرد العلمي عليها ومن خلال تحقيرها.

من أسباب السقوط هو المفاجأة التي تحصل في حياة الفتى، فتأتيه الأفكار التي لم يسمع بها من قبل، وتعرض عليه الشهوات وهو ضعيف في معرفة آثارها السيئة، وبالتالي يقع السقوط من خلال ضعف التحصين في المواجهة، والطريق المؤدي للمخرج أن نعرض عليه الباطل في الأفكار وخاصة الإلحادية بالعلم والعرض الموافق لقدراته العقلية، وذكر أسماء المذاهب ورجالها، وهذا يحتاج لوضع علوم الرد على الشبهات الذي يلائم نفسية الفتيان.

وهذا شيء ربما نفقد الكمية اللازمة لملء الفراغ، وقليل جداً في حالتنا الإسلامية.

ومن ذلك تعليمهم المناظرات للمخالفين من الزنادقة، وكيفية مواجهتهم، وهذا يصنع حالة استعلاء في نفس الفتى، كما يصنع حالة عداء لهذه الأفكار، وهذا ما قصدته من المسلم المقاتل.

دائما كنت أفكر في سبب كثرة عرض القرآن لما جرى في السماء بين آدم وإبليس، ووجدت أن أعظم مقاصد هذا العرض هو صناعة العداء بين بني آدم وإبليس، وهذه الحالة ضرورية في بناء النفسية التي تقاوم المعصية، باعتبار المعصية حالة هزيمة، وبها يتم انتصار الشيطان عليك، فالقضية هي معركة بينك وبين عدو قذر شرس، لك معه تجربة أدت بهذه النتيجة من خروجه من الجنة ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ**

لَكُـمْ عَـدُوٌّ فَاتَّخِـذُوهُ عَـدُوًّا﴾[5]، **﴿يَا بَـنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَـنَّكُمُ الشَّـيْطَانُ كَمَـا أَخْـرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾**[6].

هذا ما نحتاج بناءه مع أبنائنا:

نكشف لهم الحياة كما هي، ونحرضهم من خلال تاريخ الجاهلية المعاصر، فيحصل كرهه والإستعلاء عليه، وكذا تحقيره وتحقير أهله.

وهذا هو مدخلنا لتحصينه وحصول المناعة لديه من جهة الأفكار الحاضرة، وكذا هو لتحصينه – ما قدرنا ووسعنا – أمام الشهوات.

الهجوم خير وسيلة للدفاع، والبيان يطرد الشيطان، فيجب علينا أن لا نترك شيئاً في نفس الطفل يقع على وجه المفاجأة، فهذه المفاجأة تحقق لحظات الإضطراب وهي أسرع طريقة للسقوط، وأمثل طريقة للشيطان في تحصيله المراد من عدوه الإنسان، والمطلوب منع هذه المفاجأة.

نحن لا نعيش بيئة صالحة، وليست حالة المجتمع مما يعيننا في شيء، ومجتمعاتنا الإسلامية وصلت عوامل النخر والتدمير إلى عمقها، وهذا قد تم من خلال الزمن والتخطيط والقوانين والقوة، ومبدأ هذا الحال هو أن الناجين من سلطان هذه الجاهلية الأخلاقية هم النخبة والصفوة، ولا يتم مواجهتها إلا من خلال القليل الذي نصنعه في بيوتنا؛ أقصد المتدينين، ومن نستطيع استخلاصه من هذه

(5) فاطر (6).
(6) الأعراف (27).

المجتمعات، ولذلك ما نطلبه هو تدين خاص لهذه النخبة، ومعنى النخبة لا يتحقق إلا بكونها قادرة على الهجوم، وليس العزلة والهروب.

البيئات الصالحة، وهي موجودة في بعض المناطق الإسلامية في الهوامش هي التي نكتفي فيها بعرض الحق في الأفكار، وعدم إثارة سبل الشهوات وقنواتها، لكن المناطق التي اهتمت الجاهلية بحرفها منذ احتلال نابليون لمصر، فصار همهم صناعة المجتمعات الإسلامية بلا دين ونشر العلمانية لا استعمارها فقط، فاهتموا بتركيا ومصر وبلاد الشام والعراق وبلاد المغرب الإسلامي،فهذه المناطق لا تصلح لها العزلة، ولا ما كان في معناها من عزل الفتى عنها خوفاً من ملامستها والإقتراب منها، بل ما يصلح هو المواجهة، ليكون المسلم جنديا مقاتلاً لهذه الجاهلية.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (7)

بناء المسلم المقاوم

عن المستظل بن حصين البارقى قال: "خطبنا عمر بن الخطاب فقال: قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب، فقام رجل من المسلمين إليه فقال: متى يا أمير المؤمنين؟قال: حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية ولم يصحب الرسول ﷺ".

واشتهر بلفظ: "تنتقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية".

أعتقد أن هذا شعار المرحلة، وواقع الحال أن عمق المرء في معرفة الباطل دليل على ثقته بالحق الذي عليه رسول الله ﷺ.

حين تعرض على أبنائنا أمراض المعاصي التي تحياها البشرية، ونبدأ بكشفها ابتداءً من مادية الأمراض التي تسري بسببها إلى أمراض القلوب حتى خواتيم الخلق يوم القيامة، فإن هذا من العلم بالجاهلية، وعلم بعواقبها، وهذا العلم ينشيء النفرة منها والكراهية لها، ومن ثم الإعراض عنها ومقاومتها.

التجريد لا ينفع مع الأطفال، لأنه فوق مستواهم، بل لا بد من مثل مادية حاضرة، ولذلك لا بد من مناهج تتحدث عن ماديات الفساد وآثاره العملية على الإنسان والحياة، ويجب على الدعاة امتلاكها، ثم يرتفع الحديث من المثل المنصوبة

للعيان إلى التجريد، ذلك لأن التجريد إنما هو للكبار ممن يعقلونها بتصوراتهم العالية من خلال التربية والترقي.

والمقصود بالتجريد هو الحديث عن المعاني، مما يتعلق بالذهن والتصور، كالحديث عن المعقولات والعقائد الغيبية، فهذا مرتبة تالية بالنسبة للأطفال والأبناء، ونحن في كثير من أعمالنا نجابهه بالتجريد فيسهل مسحها ومجابهتها بعد ذلك، لكن لو بنيت على المثل المنصوبة ابتداءً كما يمثل القرآن للمعاني بها كما مثل للمنافق بالمثل المائي والناري كما في سورة البقرة، ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...**﴾[7]، إلى قوله تعالى ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ...**﴾[8]، ومثل للكفر ونوعيه بقوله في سورة الحج ﴿**فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾[9]، وذلك في كفر الحيرة وكفر القرار على معنى منه.

وهذا يدل أن الإنسان يتعقل أكثر بالمثل المنصوبة الحاضرة، وهي طريق تحصيل المعاني العالية العلمية والذهنية.

وهذا ما يجب أن نتعامل به مع أبنائنا، وذلك بإحضار صور الباطل وفساده ونتائجه، ففيلم واحد يؤثر فيهم أكثر من دروس متعددة، كفيلم عن المجاهدين أو عن إجرام الكافرين، أو عن أمراض الزنا أو شرب الخمر، وكم من مجاهد نفر لأرض الجهاد بشريط كجحيم الروس مثلاً؟.

([7]) البقرة (17).
([8])البقرة (19).
([9]) الحج (31).

بالنسبة للواقع ومجابهته ومصادمة الجاهلية فإن ما يصنعه هو الواقع نفسه، وهذا ما يجب إحضاره نموذجاً تربويا في تحصين أبنائنا ضد الجاهلية.

الصورة عوالم مهمة في صناعة الإنسان، والكفار يفهمون هذا جيداً، ولذلك يعتنون به أشد العناية، وأثر الصورة أطول زمناً من غيرها كالكلمات والمواعظ.

تجميل صورة الدين وأهله، ونشر صور الحق والهدى، وتقبيح أهل الشرك والمعاصي من خلال الصورة والمثال فن عميق وقدرات وصل أهل الدعاية فيه مبلغاً عجيباً لا يستهين به إلا الجهلة، وما الناس اليوم بأفكارهم ورؤاهم إلا صناعة الصور لا الكتب ولا المواعظ.

فعرض الجاهلية على أبنائنا مهم، ولذلك لما سمعت أن جماعة ما منعت النت في المنطقة التي تسيطر عليها علمت مقدار الجهل فينا، فكأن عالمنا اليوم عالم صلاح وتقوى، والفساد طارىء ومحصور، فنحن نصنع الحماية لأمتنا منه.!

هذا وهم وجهل، وتطبيق لنصائح من علمائنا لا يعيشون واقعنا، ولا يعرفون حال المتدينين وغربتهم، وبالتالي نصنع بهذه الطرق نماذج هشة، تكسر بمجرد اختلاف البيئة عليها.

لقد رأيت الشباب المسلم المتدين في الغرب أقوى وأصلب من غيره في كره الجاهلية، ويعرفها أكثر من أهل بلادنا، ويهاجمها بوعي وقوة وعلم، وما ذلك إلا لهذا المعنى الذي ذكرته، وهذا لا يعني عدم وجود أمراض خاصة بالمتدينين هناك، ولكن القصد عرض الصورتين في قضية مواجهة الباطل والجاهلية.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (8)

جاءني سؤال من أخ طيب، يتعلق بما نحن فيه من تربية الأبناء والعلاقة الأسرية، فآثرت أن أجيب عنه وأضعه ضمن هذه السلسة لارتباطه الوثيق بموضوعها، فاقتضى التنويه:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته شيخنا.

أريد ـن أسألكم بخصوص موضوع ما جزاكم الله خيرًا، أحد المعارف له ابن يدرسه في المدارس العمومية النظامية وابنه ما شاء الله مجدّ ومثابر دائما ما يكون الأول في فصله، لكن المشكل هو أن أباه يريد أن يفصله عن الدراسة والسبب يكمن في بعض المقررات التي يتم تدريسها لهم كالتربية عن المواطنة ووحدة الأديان في مادة التربية الإسلامية، وهو يقول أن بقاء ابنه هو رضا بالكفر الذي يتلقاه وما إلى ذلك.

وهناك مجموعة من الاخوة للأسف الذين لهم نفس هذا التفكير بل إنهم قاموا بتسجيل أبنائهم في مدارس التعليم العتيق ثم بعد مدة فصلوهم عنها بحجج وعلل واهية وحالهم الآن لا يسر.

كنت أحاول أن أنصح الشخص المعني بأن يحاول توعية ابنه وخصوصا انه أستاذ ما شاء الله، فأجاب أن هذا لا بد منه إلا أنه خائف من الكفر.

ونتيجة هذا التفكير يا شيخ هي معلومة الجهل والحرمان من الوظيفة التي هي مهمة في المجتمع.

فلذلك سيدي أرجو منكم أن تفصلوا القول في هذه المسألة إن أمكنكم ذلك، بارك الله فيكم وفي علمكم ونفعنا بكلامك. جزاك الله عنا كل خير).

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

مما لا شك فيه أن الجواب هنا يقوم على المقاربة، فالشر والخير يتداخلان، ويتنازعان في موطن واحد، إذ الواقع قدر لا يتجاوزه المرء إلا بالمواجهة والتعامل معه ضمن خير الخيرين وشر الشرين، وكذا البحث عن مآلات التصرفات خاصة حين تضطرد وتصبح ظاهرة لا تخفى؛ أقصد المآلات للفتوى والإختيار.

ونحن هنا أمامحالة لا يمكن تحصيل الخير إلا ببعض شر، وهذا في أقه المطلق إن أمكن الاستغناء عن هذا الخير ولم يكن واجباً وضروريا ترك لعدم إصابة الشر، لكن إن كان الخير واجباً وضرورياً وجب الموازنة بينه وبين الشر، فبعض الجواهر في زماننا مكانها الذي استقرت فيه كالعذرة في نجاسته وقذارته، فأنت مضطر لإحضار هذه الجمرة، والتلبس بالنجاسة حينا والاستغفار ليزول أثرها.

نحن هنا لا نتحدث عن بيئة يمكن تحصيل الخير من الدين وعلومه مع بقاء المرء سوياً في حياته ومسيرتها كبعض البلاد التي ينشأ فيها علماء، ويمكن لهم بعد ذلك الذهاب لعلوم الصناعات وتحصيل سبل حياتهم لها، بل حديثنا عن بلاد توجب الحياة الدخول في مسارات تعليم للصناعات تنازع التعليم الديني تماماً، ولا يمكن للمرء أن يستقر له سبل عيش إلا من خلالها.

ثم إننا نتحدث عن فتوى تلائم الأمة، وليس الحديث عن واحد واثنين أو عشرة وعشرين، يخلصان للتعليم الديني السليم، ولا يؤثر خروجهم إى علم الصناعات في حياة اليشر، والقيام بالواجب الكفائي لها.

كل ذلك مفهوم.

فمثلاً، يرى بعض الآباء أن الخير لابنه أن يخرجه للتعليم الديني فقط، غير ملزم للناس هذا الطريق، محبة لأن يسلك ابنه هذا الطريق، وقيامه على ما هو ضعيف في حياتنا المعاصرة من قلة الاهتمام بالتعليم الديني في بيئات إسلامية ما، مع أن هذا قليل، فالمتعلمون دينيا كثيرون والحمد لله.

الفتوى العامة لا تصلح ما يصلح للقلة، فهجران المدارس المعاصرة من عموم الأمة غير سديد، ويترتب عليه مفاسد، ولإصلاح المفاسد في هذه المدارس يكون بإيجاد البدائل، وهذا طريق طويل، ويحتاج لزمن حتى يستوي على سوقه، ومثله إصلاح نظام التعليم، وهذا طريق انتظار حتى تصلح نظم الحكم في بلادنا وتكون بيد الصالحين.

والأمر الأول من إيجاد البدائل قام به صالحون كثيرون من قديم، لكنه إما يقضى عليه من مسالحة الطواغيت وجنود إبليس، وإما يعوق كثيراً ليحقق هدفه، وإما يحرف ويبدل من خلال النظم والقوانين والتشديد.

فنظام التعليم الذي يتعلق بعموم الأمة قضية كبيرة، وتحتاج لصبر، وربما تبذل جهوداً عظيمة حتى يكون لها بعض أثر فيأتي جنود إبليس فينهونها في لحظات، وهذا أمر مشهود.

من هنا وجبت المقاربة، ووجب الاعتناء اليوم بالأبناء أكثر من أي ظرف آخر، لأن شرور المناهج التعليمية في بلادنا كثير، ونظم الإدارة فاسد ومعوق.

العزل لا ينفع، حتى لو عزلناه من مدارس التعليم المعاصر لهذه المفاسد فالمجتمع أكثر فساداً من هذه المدارس، والحارات وشبابها مليئة بذلك، ووسائل الإعلام كذلك، وشبكات النت باب من الشر أوسع من محيطات العالم.

ماذا نفعل إذًا؟

الجواب: هو أن نحصنهم لا نعزلهم، وأن ننشيء لديهم المناعة لا مجرد الوقاية، فهذا هو الطريق.

كلامي للعموم: ليعش ابنك هذه الحياة فهي قدرنا الذي إن نجونا منه من جهة أصابنا بحقيقته ومصائبه من جهات أخرى متعددة، ولذلك فليس الحل منع شبابنا من التنفس لانتشار الحراثيم والأوبئة، ولكن الحل أن يعيشوا هذه المجتمعات وصناعة المناعة فيهم.

لا أريد أن أتحدث عن أمراض المدارس الدينية، فهذا شيء نعرفه، سواء تعلق بالأسلوب في التعليم أو نوع العلوم التي يتلقونها، أو البيئة التي يعيش فيها الطلاب هناك، فهي لا تصلح لمواجهة هذه الجاهلية الشرسة، ولا يحفظ بها إلا القلة من الناس، والذين هم نخبة وقلة.

ليعيشوا في هذه الحياة، ونشرح لهم الشر، ونكشف لهم الغلط، ونعري لهم الباطل، وليتعلموا كيف لا يخافون من الشر، بل يواجهونه.

الشر يجتنب ما اجتنبنا، لكنه يحاربنا، ويتسلل إلينا بمكر وخبث، فالعزلة عنه هزيمة، وتركه دون مواجهة بقوة وشجاعة يعني انتصاره، وهذا ضد دين الله ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**﴾.[10]

هذه نصيحتي لكل أب يريد لأبنائه درجة الهداة المهديين، والصالحين والمصلحين، والله أعلم.

([10])الأنفال (58).

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (9)

أهل الدين والتقوى في مواجهة صريحة وقاسية مع وسائل الإعلام والاتصال، فهي التي توجه اليوم الحياة والمجتمع، وتأثيرها هو الأشد، وكل الأفكار التي تنتشر وتقوى ويصبح لها الأتباع والدعاة ساحتها الدعوية هي هذه الوسائل، والحال أن الإسلام اليوم يفقد المنابر القوية التي تقوي الحق فوق قوته الذاتية، فالمواجهة بين حق في ذاته، لكنه ضعيف الأدوات، وبين باطل في ذاته يملك القوة والمال والتأثير، مع وجود أرضية ضعيفة من العلم أمام الشبهات، ونفسية هشة أمام الشهوات.

وعالم الإعلام بكل مكوناته الكثيرة جداً هو بين يدي الجاهلية، فالدول والمؤسسات والشركات إما موجهة بذكاء إبليسي وإما تجري لتلاحق الرغبات لتجني المنافع والمال من خلال الانتشار، وهذه الرغبات حقيقتها هي المعاصي.

نحن أمام معركة شرسة، تجعل من المتدين غريباً، ويعاني الغربة، ويعيش منعزلاً في جزر عن المجتمع الذي تنخر فيه المعاصي.

لا يستطيع المرء أن يضع خطة متكاملة تحقق النصر في هذه المعركة، لكن يمكن تحقيق اختراقات في هذه الآلة الجاهلية.

عالم الشهوة يقوم كثيراً على إلغاء الواقع في عقل ونفس الناظر والمتابع، وهو مقصد إبليسي وجاهلي، والدين قضية حياة، يعني كلما ارتبط المرء بالحقيقة على

وجه صحيح كلما اقترب من الحق، ولذلك فأعظم مدخل في تحصين المسلمين هو إشغالهم بقضايا الحياة، والتي تربط بسهولة مع الدين والحق الذي جاء له.

يمكن في وقت انتشار الشهوات والثراء أن يتحقق بعض نصر للجاهلية، لكن مجتمعاتنا تعاني الفقر وتعاني الظلم وتعاني مؤسسات الدول الفساد، وبالتالي يعيش المرء في بلادنا ظروفاً سيئة، هي ما تحقق نصراً في هذه المعركة، وبالتالي يجب إبقاء حضور هذا المسلم في هذه المجتمعات في حالة وعي على واقعه، فإن انتصرت وسيلة الإعلام في تغييبه لساعات رجع إلى معركته التي تهمه على وجه الحقيقة.

هنا تكون الحياة وما فيها منفذاً عظيماً للدين.

نحن نتكلم عن استقبال عوالم الظلم والجهل والفساد للصحابة والدعاة، فحصل إسلام أمم لما رأوا العدل والعلم والهداية في هذا الدين، فأقبلوا عليه إقبالاً شديدا، وهذا يعترف به المسلم ويقوله الكافر كذلك؛ أي أن عالم الكفر القذر هو من عرف الإنسان عالم الإسلام الجميل، فأقوى وسيلة لحماية الأمة من الفساد هو الفساد نفسه ووجوده على هذا المعنى والواقع الذي يعيشه، ولذلك يجب إبقاء حضوره في أذهان الناس لبغضهم فيه وحب الدين وشريعته.

كنت أنظر في التلفزيون إلى مؤتمر مدريد سنة١٩٩١ ميلادية، وبدا أن هناك مرحلة جديدة، يتم فيها قبول اليهود بين العرب وفي المنطقة، كان شحم تمرير هذه القضية ما يسمى بوعود السلام، يعني الرخاء والثراء والهدوء والأمان والسعادة.

ما زلت أذكر ما الذي كان يشغلني وأنا أنظر إلى خطب الحضور في هذا المؤتمر!

كان يشغلني التالي: لو تحققت هذه الوعود سيكون من الصعوبة بمكان قبول الناس لدعوة الجهاد، وسيكون من المشقة التحريض الذي يمارسه داعي الجهاد، فالثراء والمتع والشهوات وحضورها مانع لقبول هذه الدعوة.

لم أكن يومها أبصر مكر الله وحكمته في أن يكون الشر هو من يدمر نفسه، ولذلك فعالم الشر مع وجود الدعاة وثباتهم ووقوفهم سيكون في مألاته مقويا للخير وناشراً للحق.

يمكن لسفاهة الشر أن تُشكر في هذا الباب.!

لا ينشيء الشر بسفاهته الخير دون وجود ثبات ودعوة لأهل الحق، ولذلك فعالم الجاهلية في بلادنا من فساد هو من يجب أن يعيننا في جلب العيون للصلاح والتقوى.

وهنا نقطة مهمة: ثقتنا بأننا جند الله، وأنه ناصر دينه، وأن عوامل الحق التي تعيننا ضد سطوة وقوة الجاهلية هي أقوى مما معهم من ماديات.

تفكروا لو كان هناك ديمقراطية حقيقية في بلادنا، ونزاهة، ومقاومة فساد، وطهر وظيفي من الولاة والحكام، فكيف لك أن تكشف وجه الجاهلية؟

أنت تملك مع طفلك وولدك الفطرة والتوفيق الإلهي والدعاء، فلا تيأس.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (10)

الرجاء قراءته فإنه مهم

لعل ما سأقوله هنا الآن مكرر كثيراً، لكنه مهم، والعرب تعرف أن كثرة أسماء الشيء تدل على قيمته، وكذا تكرار الحديث، وهنا أعتبر أن عماد البيت الصحيح والذي ينتج أبناء متوازنين أصحاء في نفوسهم هو قيام البيت على الاحترام والتقدير من الزوج لزوجته، وهنا لا أقول احترام الزوجة لزوجها لأن هذا ظل وأثر من احترام الزوج لزوجته.

قوامة الرجل شرعاً يعني أنه هو البيت، وكل تصرف تأتي به الزوجة العاقلة هو ظل عمل الزوج معها ومع البيت، وهذا لا يعني عدم وجود نساء سفيهات، كما في الرجال، لكن الزوج عادة هو الأصل.

القوامة لا تعني فقط أن ينفق الزوج على البيت، ولا تعني فقط أن قرار الطلاق بيده، ولا تعني أنه صاحب القرار فيه، بل يعني أن خلقه هو الذي يسري في البيت، وسلوكه هو الذي يحكم حالة البيت، وأن الله ركب الزوجة بفطرتها على أن تلاحظ الزوج في كل شيء.

لما سافرت من باكستان إلى مالديف ثم نزلت ترانزيت في سنغافورة مع تغيير الطائرة والتشييك على الجوازات للسفر مباشرة إلى لندن، ونزلنا ترانزيت مع عدم

تغيير الطيارة في ميونخ، كل هذا جرى بجواز سفر مزور، وفي كل محطة كان الفحص شديداً لظروف الحالة يومها.

لما انتهيت إلى لندن سألت زوجتي: هل كنت خائفة خلال هذه الرحلة مع علمك بجواز السفر المزور وخطورة الطريق والحال؟

كان الجواب: كنت طوال الطريق أنظر إليك، وأتعجب من عدم خوفك، ولو رأيت خوفاً في وجهك لسقطت على الأرض ولم أستطع المواصلة.!

المرأة حين يحترمها أبناؤها لاحترام أبيهم لها، والمرأة عزيزة النفس لإعزاز زوجها لها، والمرأة تحترم من الناس لاحترام زوجها ومن يتبعه من الأولاد لها، وكل منقصة تقع على الزوجة لتخلف أخلاق الزوج في تحصيل هذه المنقصة.

ولقد خبرت حياة الزواج من نفسي ومن الناس، وراقبت باحثاً عن أعظم ما يحقق احترام الروج لزوجته فوجدته يعود لخلق عظيم، هو أساس العلم وأساس العقل وأساس الفهم، بل هو باعث الشكر لله، وباعث تقدير النعمة واعتبارها، وباعث الرضا عن الله تعالى وغير ذلك الكثير من آثار هذا الخلق، وهو عندي خلق العظماء، هذا الخلق هو رؤية النعمة وهي بين يديك.

الأطفال في أعمارهم وعقولهم يشتهون كل شيء ما دام بيد الآخرين، ويتمنونه، ويسعون جهدهم في تحصيله، ويحسدون الناس عليه، حتى إذا ملكوه صار صغيراً حقيراً ولا قيمة له، وهذا أس سفاهة البشر.

الرجل العظيم هو من يرى عظمة الشيء وهو بين يديه، ومبذول له، ويعيش معه كل لحظة، وهذا هو سر الشكر والرضا، ومن فاته هذا الخلق مات قهراً وحسداً وأفسد حياته كلها.

تأمل حال الشاب وهو ذاهب للزواج من البنت، كيف يراها، وكيف يزين لها نفسه، ثم إذا حصلت عنده ذهبت عينه لغيرها، فيبدأ الفساد في البيت، فهو لا يقيم أهمية لما تصنع له، وما تكفيه من أمور حياتية وإنسانية، ولو كان ما تفعله له يعمله غريب عنه لشكره واحترمه، لكنه مع أهله كثير الصراخ، إن غضب نسي كل مكرمة من هذه التي سماها الحبيب المصطفى ﷺ: إنما هن عوان عندكم.

هذه العين التي تقدر ما في خارج الملك، وهي تحتقر ما هو تحت القدرة وتحت الملك هي أساس فساد العالم، وأساس ذهاب الشكر والاحترام.

ويتبع هذا الخلق تأمل الجمال في العالم، وتأمل الأخلاق، وتأمل النعمة، وتأمل الإحسان، ووالله من لا يراقب هذه القضايا مع حضورها وأهميتها وظهورها لهو أعجز من أن يكتشف حكمة قدر، أو رحمة موقف، أو إحسان محسن، والأخلاق هي أساس لا يتجزأ في الوجود: من لم يشكر الناس لا يشكر الله.

وهذا الحديث على معنيبن، يشملهما في حال: الأول ما هو ظاهر، أن تارك شكر الناس على أخلاقهم وإنعامهم هو تارك لشكر الله تعالى، فالشكر حالة وملكة نفس، لا تتجزأ، وتحضر مع كل نعيم وإحسان، وهذا شرحته في سلسلة الأخلاق المصورة، وهي في الأرشيف، أطلب بالرجاء من الأخوة نشرها، ففيها إن

شاء الله بعض منفعة بالدعوة لحسن الخلق، والذي خسرناه كثيراً في مجتمعاتنا الخاصة والعامة.

والمعنى الثاني: أن من لم يشكر الناس فهو تارك لأمر رباني، إذ هو يأمر تعالى بشكرهم، فتارك شكر المحسنين عاص لله تعالى، وهو بهذا تارك لشكر الله.

ومنبع هذا الخلق في جحد الإحسان والإنعام غشاوة على القلب في عدم مراقبة يد العطاء في الوجود، وأعظم خصال الشر في النفس البشرية، وهي مانعة من شكر المنعم هو ظن الجهل بوجود حق لك على الناس وعلى المنعمين، فهم يؤدونه، فلماذا أشكرهم.!

ونسي هذا الجاهل -حتى في مسايرتنا لظنه- أن أحب الأعمال عند الله الفرائض، وهذا دليل أن أداء الواجبات التي على الناس أحق بالشكر، لأنها من ضروريات الحياة، فهي أولى بالاعتبار، ولذلك فشكرك لأمك أعظم أجراً لهذا المعنى.

الأسرة وبناء التوازن في الشخصية المسلمة (11)

كنت أقول للمسلمين وأنا ساكن ديار الغرب: لأن أضع ولدي في وكر أفاعي خير من أضعه في مدرسة إنجليزية تدرسه دينهم وطريقة حياتهم.

الولد إسفنجة ماصة، شديدة التأثر، تمشي على فطرتها في حب التقليد والتمثل، وليس عنده في طفولته أعظم من والديه، ثم تتسع دائرة التمثل والتقليد شيئاً فشيئاً، وما يسمعه ويراه يختزن في ذهنه طويلاً، ولا يمحى بسهولة، ولذلك يجب مراقبة نفسك جيداً قبل أن تراقب ابنك. سيراقب خوفك وشجاعتك، ويراقب كرمك وبخلك، ويراقب طيبتك وحقارتك، سينظر إليك حين تستقبل الضيف وحين تودعه، وحين تصبر على غيرك مع محاولتك ستر غضبك.

كل هذه لمحات معنى، وقوارع تربية، تلقى على ابنك وأنت لا تشعر، وهو يتمثلها ويعرف مقاماتها في الحياة منك جوازاً أو حرمة.

(خيركم خيركم لأهله) يعني أن خلقك الصحيح والثابت وغير المزيف هو مع أهلك، ومع إخوانك، ومع أصدقائك وأصحابك، فهو الخلق الذي لا يتزيى به كذباً وللحظات كلبس القناع ثم ينزع، وهذا تفهمه الزوجة منك، ويفهمه ولدك منك، فلا تتخذ هذا الأمر هزواً ولعباً، بل هو جد كل الجد، وعظيم مهم.

ولـذلك لا تعـرض ولـدك لمـرض مـن أمراضـك، فعالجهـا بقـوة قبـل أن تحرقـك وتحـرق بيتك.

لـيس صـراخك في بيتـك بمنجيـك عنـد ولـدك أنـك تتخـذه لسـتر غلطـك وبخلـك وجبنــك، بــل هــو يــراه كــذلك، فأنــت في حالــة تقــويم عنــد الولــد كــل لحظــة، واستشــهادك بــه علــى غلــط منــك وكــذب تأتيــه يعــني أنــك دمرتــه وأفســدته مــن جهتــين: علمتــه الكــذب، وأفســدت ميزانــه في الحيــاة، وأعظــم مــن ذلــك كلــه أن صورتك صارت عنده ساقطة مشوهة.

الابـن يـدرك الفـرق بـين كونـك مهـانا في البيـت لخسـة فيـك، حـتى لـو صـرخت طـوال الوقـت، حـتى لـو اسـتخدمت السـوط والعصـا لفـرض هيبتـك الكاذبـة، وهـو يـدرك الفـرق كـذلك بـين كونـك متواضـعاً سمحـاً، تعـين علـى عمـل البيـت وأنـت مـع ذلـك لك احترامك وهيبتك واسمك في البيت، وهذا تدركه المرأة كذلك.

السـواتر المصـنوعة لا تنفـع مـع الابـن والزوجـة، لأنهـم حولـك في كـل وقـت، ويراقبـون خائنـة عينـك مـع كـل لمحـة، فـاهتم بخلقـك الحقيقـي لتقيمـه علـى الصـحيح والحسـن والفضائل.

لا تجعلـه يـراك مقـارناً بـين المـال والأخـلاق والدين؛تغضـب للـدنيا، وتهـتم لهـا، وتصـرخ إن فاتت، وأما مع الخلق والدين فهش وضعيف، لا تحرك فيك مغرز إبرة.

الابن والزوجة ظل حقيقي لما أنت عليه، لا يحسن معهما التمثيل والكذب.